زين الدين الشماع الحلبي والتعريف بكتابه
(سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار)

أ.د.صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربـي
جامعة بغداد

المقدمة

عُني العرب منذ القدم بإستعمال الجواهروالأحجار الكريمة ، وإزدادت هذه العناية على مر العصور ، فقد إستعملوا الحلي المتنوعة ، والملابس المطعمة بالجواهر والأحجار الكريمة .

وعندما جاء الإسلام مارس العرب المسلمون هذه العناية وشغفوا باستعمال الجواهر والأحجار الكريمة وتفننوا بإستخدامها ولاسيما بخاصة في عصور الدولة العربية الإسلامية التي بلغ فيها الترف والرقي الحضاري شوطا كبيرا . ولم يقتصر إستعمال الجواهر والأحجار الكريمة على الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والطبقات الرفيعة من قبل المجتمع ، بل شمل عددا كبيرا من شرائح المجتمع الأخرى . وأصبحت الجواهر من أنفس التحف والهدايا التي تقدم إلى الخلفاء والملوك في المناسبات وحين النصر على الأعداء ، وقد حرص كثير من الخلفاء والملوك على إقتنائها والإحتفاظ بها في خزائن الخلافة يتوارثها الخلفاء خلفا عن سلف .

ومن هنا إزدهرت تجارة الجواهروالأحجار الكريمة في بغداد للإقبال المتزايد عليها من مختلف طبقات المجتمع حتى أصبح تداولها مألوفا بين الناس .إذ ظهر في سوق الجواهر ببغداد حالة إستئجار الجواهر من أصحابها لأيام معدودة وبأجور محدودة .

لم يقتصر إستعمال الجواهر والأحجار الكريمة على العنصر الجمالي لترصيع الحلي وزخرفة الملابس ، بل تعددت إستعمالاتها ، فدخلت في المجالات الطبية والصناعية فضلا عن إستعمالاتها الروحية .وأصبح لكل حجر كريم إستعمال خاص به ، ومنافع ينفرد بها عن غيره من الأحجار .

لقد شجعت المنافع والخواص للأحجار والجواهر الكريمة عددا من علماء الأمة ومصنفيها إلى التأليف المفرد المستقل في ماهية هذه الجواهر والأحجار والتعرف على انواعها وخواصها ومعادنها فظهرت مجموعة قيّمة من الكتب الجليلة كان منها :

*كتاب الجواهر وصفاتها ليوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ) .

*كتاب الجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ) .

*كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار لأحمد بن يوسف التيفاشي (ت ٦٥١ هـ) .

*كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر لشمس الدين إبن الأكفاني (ت ٧٤٩ هـ) .

*كتاب سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لزين الدين الشماع الحلبي (ت ٩٣٦هـ) .
وغيرها من الكتب والرسائل التي تطرقت إلى كل ما يتعلق بهذا العلم النافع .
يتناول البحث التعريف بواحد من هذه المؤلفات المهمة ألا وهو(سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار) ، ويتطرق إلى سيرة مؤلفه زين الدين الشماع الحلبي ، وقد جعلته في بابين :
الباب الأول : سيرة المؤلف .
الباب الثاني : التعريف بالكتاب .

الباب الأول : سيرة المؤلف

الأول : حياته ونشأته

هو زين الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن علي بن محمود الشماع الحلبي الشافعي ، الفقيه ، المحدث ، المؤرخ ، الأديب ، الصوفي[١] . ولد سنة ثمانين وثمان مئة ، ظنا بحلب .
إشتغل بالفقه على علماء بلده حلب فأخذ الفقه عن الشيخ محي الدين عبدالقادر بن محمد بن عثمان إبن الأبار الحلبي (ت ٩١٤ هـ) والقاضي الإمام جلال الدين محمد بن عمر بن محمد النصيبي الحلبي الشافعي (ت ٩١٦ هـ) وغيرهما من فقهاء حلب وعلمائها الأفذاذ . وأخذ الحديث النبوي الشريف عن الشيخ تقي الدين أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الحيثي الحلبي (ت ٩٣٠ هـ) ، وحظي بالرواية بالسند العالي عنه[٢] .

الثاني : رحلاته وشيوخه

لما أتقن زين الدين الشماع علوم بلده تاقت نفسه إلى الرحلة ولقاء المشايخ والعلماء والأخذ عنهم وحصول علو الإسناد في الرواية ، فرحل في طلب العلم إلى عدة بلدان كان في مقدمتها الرحلة إلى مكة المكرمة والمجاورة فيها مرات ، وحرص في مجاورته الحرم الشريف على التحصيل والأخذ عن كثير من علماء مكة من الرجال والنساء على السواء . فلازم الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن علي بن عبدالرحمن الشهير بإبن عراق (ت ٩٣٣ هـ) ، وكانت له معه صحبة ومودة ، وقد لبس منه خرقة التصوف ، ولقنه الذِكر، وكانت بينهما مراسلات وهدايا دامت مدة طويلة [٣] .
ثم رحل إلى المدينة المنورة فسمع من علمائها ، وأخذ عن الكثير من شيوخها ، ثم إرتحل إلى القاهرة وأخذ من أعيان علمائها لاسيما العالم الجليل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) فقد أكثر من الأخذ عنه ، والإلتقاط من كتبه المهمة وتآليفه الجمة . وكان الإمام الشيخ جلال الدين النصيبي يدفع إليه على بدء مسائل مشكلة ليرفع له اشكالها ويقول له : لاتعرضها على غيره ، فإني أعرف مقام غيره في العلم بالنسبة إليه .

وفي القاهرة أيضا إلتقى الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ زكريا بن محمد بن أحمد الانصاري الشافعي (ت ٩٢٥ هـ) وأخذ عنه كثيرا من العلوم التي كان يتقنها لاسيما الحديث الشريف[٤] .

وعند عودته رحل إلى حماة وأخذ بها عن الشيخ الإسلام العارف بالله سيدي الشيخ علوان الحموي وهو الشيخ علي بن عطية بن الحسن الهيتي المعروف بالشيخ علوان (ت ٩٣٦ هـ) ، وأخذ الشيخ علوان عن الشيخ زين الدين الشماع أيضا ، ونشأت بينهما صحبة ومودة أكيدة ، حتى ان الشيخ علوان كان يرسل إليه وهو بحلب مطالعات يشكو فيها خواطرلنفسه فيجيبه عنها بأجوبة شديدة على النفس فيتلقاها بالقبول ، ولايخفها كأنه ينادي عنها على نفسه . ورحل أيضا إلى صفد وبلبيس ، والقابون ، ودمشق ، وبيت المقدس ، وحمص ، وغيرها من البلاد الشامية[٥] .

وبالجملة فقد أكثر الشماع من الشيوخ والأخذ عمّن درب ودرج حتى إستجيز لأهل مكة فكتب لهم سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة إجازة ذكر فيها ان شيوخه بالسماع والإجازة الخاصة والعامة زادوا على ثلاث مئة شيخ[٦] .

الثالث : مكانته العلمية وآراء العلماء فيه

كان زين الدين الشماع متقدما في فنون كثيرة من العلوم كالحديث والفقه والتاريخ والأدب . وكان الحديث الشريف السمة الغالبة على طبعه ، وكان يميل إليه ميلا شديدا ، فبرز فيه ، وتميز تميزا فائقا بين أعلام عصره حتى عده معاصروه من المحدثين المسندين و وصفوه بالإمام المسند ، والعلامة المحدث ، فقد أثنى عليه شيخه وتلميذه الشيخ علوان الحموي بقوله :" إنتهت إليه رئاسة الحديث الشريف ، ومعرفة طرقه ، وكان محافظا على السنة وإقتفاء أثر السلف الصالح "[٧] .

وقال رضي الدين إبن الحنبلي :" كان الشماع ديّنا ، خيّرا ، حضرت مجلسه في السماعات والإجازات "[٨] .

وقال إبن العماد الحنبلي :" كان إماما عالما ، أمّارا بالمعروف ، نهّاء عن المنكر ، لايقبل هدايا أهل الدنيا ،ولايتولى شيئا من الوظائف والمناصب ، بل يقنع بما يحصل له من ربح مال كان يضارب به رجلا من أصحابه "[٩] .

الرابع : مؤلفاته

خلف الشماع مجموعة طيبة من الآثار النافعة التي تدل على غزارة علمه ،وجودة تصنيفه . وقد وصفت من مصادر ترجمته بأنها تآليف حسنة مفيدة . وقد رتبتها على نسق حروف المعجم وهي:

١- إتحاف العابد الناسك بالمنتقى من موطأ مالك

٢- بلغة المقتنع في آداب المستمع[١٠]

٣- تحف الأمجاد

٤- تحفة الثقات بأسانيد ما لعمر الشماع من المسموعات(وهو ثبت شيوخه ومسموعاته في مجلدين صغيرين)

٥- تنبيه الرسنات إلى شعب الإيمان

٦-الدار الملتقط (منتقى من الرياض النضرة في فضائل العشرة)
٧- الدرر المنضد في مسند أحمد
٨- ذيل العبر في خبر من عبر للذهبي
٩- سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار
١٠- سفينة نوح
١١- سلوة الحزين (مجموع فيه فوائد)
١٢-السيرة الموسومة"بالجواهر والدرر"[١١]
١٣- العذب الزلال في مناقب الآل
١٤- عرف الند في المنتخب من مؤلفات بني فهد
١٥- عيون الأخبار فيما وقع لجامعه في الإقامة والأسفار(وهو تاريخ حافل إنتهى فبه إلى سنة٩٣٦هـ وله أسماء أخرى)
١٦- فتح المنان في تخميس رائبة الشيخ علوان التي مطلعها:

يا طالبا للوصال بادر واخرج عن الكون ثم سافر

١٧- الفوائد الزاهرة في السلالة الطاهرة
١٨- القبس الحاوي لغرر(ضوء) السخاوي
١٩- الكواكب النيرات في الأربعين البلدانيات
٢٠- اللآلىء اللامعة في تراجم الأئمة الأربعة
٢١- لقط المرجان في مسند أبي حنيفة النعمان
٢٢- اللمعة النورانية في تخميس السهيلية[١٢] التي مطلعها :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

٢٣- محرك همم القاصرين بذكر الأئمة المجتهدين المتعبدين
٢٤- مغني الراغب في روض الطالب
٢٥- المنتخب المرضي في مسند الشافعي
٢٦- منتخب النظم الرائق(الفائق)في الزهد والرقائق
٢٧- المواهب الملكية[١٣]
٢٨- مورد الظمآن في شعب الإيمان
٢٩- النبذ الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية
٣٠- نزهة العين في رجال الصحيحين(البخاري ومسلم)
٣١- اليواقيت المكللة في الأحاديث المسلسلة :تشنيف الأسماع .

الخامس : وفاته

توفي زين الدين الشماع في الثاني عشر من صفر سنة ست وثلاثين وتسع مئة ،ودفن تحت سفح جبل جوشن ، عند الجادة التي يرد عليها من يرد من الإنطاكيين ، وتألم لفقده أهل حلب [١٤] .

الباب الثاني
التعريف بكتاب(سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار)

إعتمدت في إعدادهذا البحث على نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ تحت رقم (٣٧١) طبيعيات ضمن مجموع في عدة فنون .
تقع هذه المخطوطة في ثلاث و ثلاثين ورقة ، ومسطرتها ١٥ خمسة عشر سطرا في كل صفحة، وعدد كلماتها ٨ ـ ١٠ كلمات في كل سطر ، ومقاسها١٠,٥سم ×٥ ,٢١ سم تقريبا ، وخطها نسخي واضح ومقروء ، وقد كتبت عناوين الموضوعات بمداد أسود عريض على الحافة اليمنى من الصفحة .
والأوراق الثلاث الأول منها رديئة التصوير حيث ظهرت فيها كلمات طامسة كثيرا يصعب قراءتها .
وقعت هذه النسخة في يد أحد العلماء البارعين المعنيين بالجواهر والأحجار فذيلها بكثير من المعلومات الخاصة بالجواهر من أمثال أماكن وجودها ، وقيمتها ، والتعريف بمنافعها وخواصها الروحية ، وكان جل إعتماده على كتاب (نخب الذخائر في أحوال الجواهر)لأبن ساعد الأكفاني
(ت ٧٤٩ هـ) ومن أسف شديد لم يذكر إسمه ولا تاريخ هذه الملاحظات .

الأول : مقدمة الكتاب

قدم الشماع لكتابه(سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار) بمقدمة قصيرة ، أبان فيها عن الهدف الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب من جهة ، ونهجه الذي إلتزم به من جهة أخرى ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه الكريم وآله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين :
" أما بعد : فهذه رسالة مفيدة ، صغيرة الحجم ، غزيرة العلم ، كثيرة الفوائد ، عظيمة النفع ، إشتملت على خلاصة أقوال المتقدمين والمتأخرين في ذكر الجواهر والأحجار ، أوضحت فيها ما كان من الجواهر النفيسة ، فذكرت أصنافها ، وصفاتها ، ومعادنها المشهورة المعروفة ، وخواصها ، ومنافعها ، وسميتها (سر الأسرار في معرفة الجواهروالأحجار) . إبتعدت فيها عن الإطناب ، وأبعدت القشر عن اللباب ، وجعلتها تذكرة لمن أراد الوقوف على هذا الفن ، ومزاولة الصنعة من دون غلبة ، وأالله أسأل أن ينفع به ، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين ، وآله الطيبين ، وسلم تسليما كثيرا " .

الثاني : منهج الكتاب

تناول الشماع في كتابه هذا دراسة عدد من الجواهر والأحجار بلغت (٢٠) عشرين مادة وهي :

١- الياقوت
٢- اللؤلؤ
٣- الزمرد

٤- الزبرجد
٥- الماس
٦- عين الهر
٧- اللعل
٨- الفيروزج
٩- البازهر الحيواني
١٠- البزهر المعدني
١١- العقيق
١٢- أشباه الياقوت
١٣- الجزع
١٤- الدهنج
١٥- اللازورد
١٦- المرجان
١٧- اليشب
١٨- البلور
١٩- السبج
٢٠- الجمشت(الجمر) .

وإلتزم المؤلف بمنهجه الذي ذكره في المقدمة إلتزاما دقيقا ، فهو يذكر ما يتعلق بالجوهر من حيث المعدن أو المغاصات ، والأنواع ، والجيد والردىء منه ، والخواص والمنافع ، وفي بعض الأحيان يذكر علة تكون الجوهر ، وقيمته المادية .

عند تدقيق النظر في منهج الشماع نجد ان منهجه منهج متكامل ، إذ كان يحرص حرصا شديدا على الإحاطة التامة بما دونه العلماء قبله وبما لاحظه هو وإكتشفه بنفسه ، كما كان حريصا على ان يوجز الكلام إيجازا لايخل بالمعنى المقصود . فهو بهذا منهج علمي محمود يضاف إلى المناهج العلمية العربية التي يزخر تراثنا العربي بأمثلة متعددة منها .

وخير مثال على ذلك قول المؤلف في :" ذكر العقيق ومعدنه ، وأنواعه ، وقيمته ، وخواصه :

اعلم ان العقيق سبعة أنواع : الأحمر الكبدي ، والأحمر الوردي ، والأصفر ، والأبيض ، والأسود ، والأزرق ، وذو اللونين .

يؤتى به من نواحي صنعاء باليمن ، ومن بلاد الهند ، وغيرذلك . وأجوده الأحمر وقيل : الأصفر الصافي الشفاف ثم الأحمر الوردي ثم الأزرق ثم الأسود وأردؤه الأبيض . وبحسب المعدن عقيق اليمن أحسن أنواعه ،وعقيق الهند أدونها ، يصنع منه خواتم ، ويباع الخاتم منها بإثنين إلى ثلاثة دراهم فضة . ويصنع منه نصب السكاكين ، يباع النصب الواحد بثلاثة دنانير إلى خمسة . وقيمة الفص المنقوش درهم أو

درهمان . وهذا السعر على العقيق الأحمر الأعلى أو الأصفر ، وأما بقية أنواعه فلا قيمة لها ان يعتد به .
طبعه : حار رطب وقيل : حار يابس .
من كان متختما بعقيق شديد الحمرة سكنت روعته عند الخصام .
ويدخل في أدوية العين ويقويها ويحسن أشفارها ويزيد من نورها ،وإذا احرق حتى يترمد ألطف وإكتسب حدة ، وزاد يبسا . وهو يقوي القلب شربا منه دانقان ويمنع من الخفقان . وغير المحرق يقطع نزف الدم من أي موضع كان ظاهرا ، وشربا إن كان خفيا . وإذا دلكت به الأسنان نقاها ومنع اللثة أن تنضح دما . ومحرقه يمسك الأسنان المتقلقلة ، ويشدها ويذهب بحفرها ، وينفع النساء اللواتي يدوم طمثهن . وحامله يكون عزيزا في أعين الناس . وأالله أعلم .

الثالث : مصادر الكتاب

تعددت المصادر التي نقل عنها الشماع معلوماته ، فقد أشار إلى مجموعة طيبة من هذه المصادر ويمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام هي :

١ـ الرواية الشفوية : ويشمل هذا القسم مجموعة الأخبار والمعلومات التي سمعها الشماع ، أو قام هو بالسؤال عنها ، وأكد ذلك بعبارات صريحة دالة على صدق المشافهة في مثل قوله :
" ذكر لي من أثق به أنه رأى من الفيروزج ما وزنه خمسة مثاقيل تقريبا " .
وقوله " وحدثني من رأى تاجرا جاء من الروم إلى شيرازوإشترى قطعة بازهر كانت زنتها إثنى عشر مثقالا لأجل السلطان العادل بمبلغ مائة وخمسين دينارا أشرفيا " .

٢ـ المشاهدة و الملاحظة : ويشمل هذا القسم مشاهدات الشماع نفسه وملاحظاته التي ذكرها عن منافع الجواهر وخواصها وصفاتها فقد وصفها وصفا يمتاز بالدقة وقوة الملاحظة ، ومن ذلك قوله :
" وقد رأيت لسعة الزنبور الأحمر الكبير ، فتورم الموضع وإحمر حمرة شديدة فحككت من البازهر الحيواني بالماء ، وطليت به على الموضع فزالت حمرته و وجعه من وقته " .
وقال أيضا :" وشاهدت بأرض مصر من البازهر المعدني قطعا كبيرة ويوجد منه أيضا نوع يجلب من الهند والصين حجارة صغيرة ، أصفر اللون ، وشديد الصفرة تميل إلى الخضرة ..." .

٣ـ الكتب المدونة : ذكر الشماع عددا من امهات الكتب المعنية بالجواهر والأحجار ، وأشار إليها صراحة بالإسم في مثل قوله : " قال الكندي في كتابه (الجواهر) ، وهذا المنهج يحمد المؤلف عليه ،لأنه يذلل الصعوبات أمام الباحث في حالة التأكد من النص وتوثيقه بين المؤلفات الكثيرة لذلك العالم .ولكن من أسف شديد فإن الشماع لم يلتزم بهذا المنهج في كتابه ، فقد إكتفى بذكر إسم المؤلف من دون النص على إسم كتابه ، وهو الغالب عليه في إستعمال المصادر نحو قوله : " قال

التيفاشي ... " أو " قال أرسطوطاليس ..." وهكذا ، لذلك رأيت تبويب المصادر وحسب أسماء مؤلفيها مع الأخذ بنظر الإعتبار عدد الروايات عن كل مؤلف ، حسب الترتيب الآتي :

١ـ أرسطوطاليس ٩مرات .
٢ـ باياس الحكيم مرتان .
٣ـ البيروني ، محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ) ٣مرات.
٤ـ التيفاشي ، أحمد بن يوسف (ت ٦٥١هـ) ٨ مرات.
٥ـ أبوسعيد بن محمد التيموري ٣ مرات.
٦ـ الكندي ، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٦٠ هـ) مرتان .
٧ـ يحيى بن ماسويه ٣ مرات .

إن الإعتماد على هذه المصادر ، ولاسيما الكتب المدونة لايعني ان زين الدين الشماع لم يطلع على غيرها ، وانه لم ينقل منها غير ما ذكر ، فقد أجاز علماؤنا الأعلام لأناسهم النقل من المصادر المختلفة دون تكرار الإشارة إلى ذلك والنص على المصدر ، وهذا بعينه ما وجدته في هذا الكتاب إذ نقل الشماع نقولا متعددة من التيفاشي ولم يصرح بالنقل عنه ، وكأن المادة المنقولة من أقوال الشماع ومعلوماته .

الربع : مزايا الكتاب

نلاحظ مما تقدم ان كتاب(سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار) قد توافرت فيه جملة مميزات جعلته في مصاف الكتب المهمة ، فقد كان مؤلفه ذا سعة في العلم ، ومعرفة تامة بمصادر الجواهر والأحجار في عصره ، ساعده في ذلك كثرة رحلاته وتنقله بين مدن متعددة حيث تمكن من الإطلاع على جهود الآخرين والإفادة منهم وتثبيت ما يراه جديرا من تلك المعلومات في كتابه هذا ، ولعل أهم ما يمكن التعرف عليه من مزايا الكتاب هي :

١ـ إلتزم الشماع ـ كما ذكر في مقدمة الكتاب ـ بتعيين أماكن وجود الجواهر والأحجار ـ أعني معادنها ومغاصاتها ـ فذكر منها عدة أماكن في الوطن العربي والعالم منها : أسوان من أعمال قوص في الديار المصرية يوجد فيها الزمرد في جبل هناك ، وذكر منها أيضا جزيرة إبن عمر فقال :" البازهر المعدني معدنه بالتخوم بين جزيرة إبن عمر وبلد الموصل " . وذكر كذلك : الحجاز ، وصنعاء ، وعمان ، والكرك ،والمغرب ، كما ذكر أفريقيا ، وبلاد الأرمن ، وبلاد الترك ،وخوارزم ، وسرنديب ، وشيراز ، وفارس ، ونيسابور ، والهند وغيرها .

٢ـ ذكر الشماع كثيرا من منافع الجواهر والحجار ، وقد جمع بين الروحانيات والماديات ، والحقائق والأساطير ، ومع ذلك كان أكثر تحفظا ممن سبقه ، وأقل إيرادا للخرافات والأساطير ، وعند الإشارة إليهما نجده في كثير من الأحيان يصدر قوله بالمصدر الذي نقل عنه ، لتكون العهدة بذلك على مؤلف المصدر .

٣ـ أشار المؤلف كثيرا إلى أثمان الجواهر والأحجار بالعملة في عصره . وفي العصور التي سبقته، فقد ذكر الدرهم العادي والدرهم الناصري ، ودرهم الفضة ،

وكذلك الحال بالنسبة للدينار فذكر الدينار الذهب ذذن والدينار الأشرفي ، والدينار المصري ، والدينار الملكي ، والدينار اليعقوبي ، مما يدل على سعة إطلاعه على التعامل النقدي السائد في عصره ومعرفة ما يساويه من العملات الأخرى . ولم يغفل الشماع عن ذكر عدد من المقادير والمكاييل المستعملة في بيع وشراء الجواهر والأحجار .

٤ـ تطرق المؤلف إلى عدد من الأمراض التي تنفع الجواهر والأحجار في معالجتها والقضاء عليها أو تخفيف الألم المصاحب لها سواء كان ذلك بإستعمال المركب أو المفرد ، خارجياً أو داخليا ، ومن هذه الأمراض : البرص ، الخفقان ، داء الثعلب ، داء الفيل ، الداحس ، السرطان ، الصرع ، الطاعون ، عسر البول ، قرحة الأمعاء ، قرحة المعدة ، نزف الدم ، النقرس ، وجع الطحال وغيرها .

٥ـ لما كان الشماع فقيها ومحدثا ، وأديبا ، فقد ظهر تأثير هذه العلوم عليه في كتابه هذا ، فإستشهد بكثير من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ،وذكر أبياتا من غرر القصائد الشعرية العربية ، للتدليل على إستعمالات الجواهر والأحجار أو الغاية من جمعها والتفنن في إقتنائها ، والحرص على إمتلاكها وتسابق الملوك والسلاطين والأغنياء إلى ذلك ، وليبعد الملل عن القارىء أيضا .

الخامس : عناية المؤلف بالجواهر والأحجار

من أجل الوقوف على إهتمامات زين الدين الشماع بمعرفة الجواهر والأحجار ، ولتبيان جهود هذا العالم الفاضل الذي صرف جزءاً من عمره بهذا الفن . ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :

١ـ البلور معدنه وخواصه وقيمته

اعلم ان البلور ألطف وأصفى وأشف من سائر الجواهر ، ومعادنه في سبعة أماكن من البلدان : في بلاد الصين والهند والترك والإفرنج وأرض العرب بالحجاز ونواحي بلاد الأرمن . وقد ظهر معدنه بمراكش بالمغرب .

وأجود البلور أصفاه وأنقاه وأبيضه وأشفه وأسلمه من التشعير فإن كان كبير الحجم كان الغاية .

قال التيفاشي :" وقد أهدى بعض تجار الافرنجة إلى ملك المغرب في عصرنا قبة من البلور مصنوعة من قطعتين يجلس فيها أربعة أنفار " .

وأجود معادن البلور كان في بلاد الإفرنج وأرض العرب .

وقيمة البلور متفاوتة بحسب كبر الحجم وصغره ، مثلا : ظرف منه أن يملأ برظل من الطعام وكان سالما من العيوب ، فقيمته ثلاثة إلى أربعة دنانير من الذهب .

ومن خواصه : إذا استقبلت الشمس بقطعة من البلور الصافي المدور ، ثم نظر إلى موضع الشعاع الذي يظهر من الحجر فيستقبل بخرقة سوداء فإنها تحترق . وهذه الصفة ليست مخصوصة بالبلور فقط .وحامله لم ير أحلاما مفزعة .

٢ـ الدهنج ومعادنه وجيده

اعلم ان الدهنج حجر لونه يميل إلى الخضرة ، زبرجدي اللون ، إلا انه لاشفيف له . ويوجد بمعادن النحاس ، وقد يوجد في معادن الذهب ، وهو ألوان ، فمنه الأخضر ، وذو الألوان ، ومنه الطاووسي وهو يميل إلى السواد وحمرة مع بريق .
وقيل معادنه في خمسة أماكن : جبل في غربي بلاد الإفرنج ، وفي أعمال كرمان ، وفي حصن الكرك ، وفي غار بني سليم من بلاد العرب ، وفي بلاد الترك .
وأجوده : الأخضر الإفرنجي ، وهو يصفو مع صفاء الجو ويتكدر بتكدره .
وهو حار جلاّء يكاد أن يبلغ الدرجة الرابعة ، إذا شُرب منه نصف درهم نفع شارب السم . وإن شربه غير مسموم فهو سم لأنه يُقرح الأمعاء ، ويُفتت الأعضاء بالتعفين والبثور . وقالوا : لاعلاج له . وإذا امسك في الفم وشُرب ماؤه أيضا كان رديئا . ويُسكن لدغ العقرب إذا امسك به سكونا ضعيفا . وإذا سُحق منه شيء وديف بالخل ودُلكت به القوابي الحادثة في الجسد من السوداء أذهبها . وينفع من السعفة في الرأس وفي جميع البدن ، ويُبرىء البياض إذا إكتُحل بمحكوكه فمجرب . وإذا سُحق بمسك ونُفخ في أنف المصروع نفعه ، وينبغي أن يُسعط به ثلاث مرات ، وإذا ألقي منه اليسير في بوتقة الذهب المذاب ليّنه وحسّن لونه ، وإذا مُسح به على لدغ العقارب نفع يسيرا .
قيمة مثقال من الدهنج الإفرنجي العالي يكون بدينار من الذهب .
وقيمة الدهنج الكركي والكرماني وغيره فليس بشيء يعتد به .

٣ـ اليشب وأنواعه وجيده وقيمته وخواصه

إعلم ان اليشب واليصب كلاهما واحد ، وبعض الناس يخص اليشب بنوع أبيض منه ، واليصب بألوان أخرى .
وهو حجر فضي وألوانه ستة : أبيض مشبع ، وأبيض إلى الصفرة ، والأخضر الزمردي ، والأخضر إلى السواد ، والأسود الشفاف مثل السبج ، والأزرق الرمادي .
وأحسن أنواعه الأبيض واللون المائل إلى الصفرة .
وقيمة فص منه مساويا لربعة دراهم فضة ، ومن أقسام اخر موازيا نصف قيمته المذكورة .
طبعه : بارد يابس ، يقطع نزف الدم ، وإذا عُلق على الرقبة أو العضد للتعويذ طرد المخاوف ، ورد العين ، ونفع من دفع السحر . وإذا عُلق على الفخذ نفع من عسر الولادة . وإذا عُلق على الرقبة بحيث يحاذي المرىء والمعدة نفع أمراض المعدة بأسرها خصوصا الزمردي ويقطع كثرة الإحتلام عن حامله .
وقيل : ان اليشب إذا وضع على شرفة القلعة أو المدينة التي هي معهودة بنزول الصواعق أمن من نزولها فيها .

٤ـ السبج ومعدنه وقيمته وخواصه

قال التيفاشي :" إعلم ان السبج يؤتى به من بلاد الهند وبلاد السودان وبلاد العجم " .
وأجوده الشديد السواد ، البراق الرخو الصافي المستوي اللون .
طبعه : بارد في الأولى ، يابس في الثانية .

دافع للعين ، ويُقوي نور البصر بإدمان النظر إليه ، لأن السواد يجمع نور البصر ، لاسيما لمن أحس في عينيه بنزول الماء الأسود خصوصا إن إكتحل به الكتم ومرارة الباشق والمسك . وإذا إتخذ منه مرآة يحفظ بصر المشايخ ، وأعاد ما ذهب من النور بسبب الشيخوخة .

وقيل : من لبس منه خرزة أو تختم به دفع عنه عين العائن . ويقوي القلب إذا شُرب منه دانق بشراب ريحاني . وحروقه ومغسوله ينفع في تقوية العين وزوال الغشاوة الخفيفة . وقيمة الخرزة التي وزنها مثقال بدرهم فضة .

٥ـ الجزع وأنواعه ومعدنه وخواصه

إعلم ان حجر الجزع أنواع فمنه : البقراني والفارسي والحبشي والعسلي .

وأما البقراني فهو مركب من ثلاث طبقات حمراء ، لا مستشف لها ، ويليها طبقة بيضاء لاتستشف ، ويليه طبقة بلورية تستشف ، وأجوده ما إستوت عروقه في الثخن والرقة ، وما كان سليما من الخشونة ، وهو أحسن أنواعه .

الخرزة التي زنتها مثقال من جيده فقيمته درهمان فضة ، وما قرب منها . وفي أكثر البلاد بواسطة شآمته ليس بمستعمل ، ولا قيمة له .

وهو حجرشديد اليبس ، جلاّء ، إذا سُحق صار جلاّءاً جيداً للياقوت بسائر أنواعه . ويجلو الأسنان.

ومن خواصه : إذا تختم به كثرت الهموم والأحزان ، ويرى أحلاما رديئة مفزعة . ويكثر وقوع المخاصمات بينه وبين الناس ، ويغلب عليه الدم . وإن عُلق على طفل كثُر سيلان لعابه ، وإذا شُرب في إناء منه ا، أُكل فيه منع النوم ، وإذا لُف في شعر إمرأة حين يضربها الطلق أسهل ولادتها .

وبعض الملوك لايرى لبس شيء منه ولا يدخلونه في خزائنهم ويقولون : كفاك شاهداعلى شآمته إشتقاق إسمه من الجزع .

الهوامش

(١)ترجمته في :

التاذقي ، رضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي(ت. ٩٧١هـ) ، درر الحبب في تاريخ حلب ، (دمشق ، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤) ، ج٢ ، ص٣٣٤ـ٣٣٦ . المغزي ، نجم الدين محمد بن محمد(ت. ١٠٦٣هـ) ، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة ،(بيروت،١٩٧٩) ، ج٢ ، ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله(ت. ١٠٦٧هـ) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (ب.م ، ١٩٤٧) ، ط٣ ، ج١ ، ص٢٥٢ ، ٤٠٩ ، ٦١٧ ـ ٦١٨ ، ج٢ ، ص٩٩٢ ، ٩٩٩ ، ١٠٨٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣٢ ، ١١٨٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٩٧ ، ١٥٣٤ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦٦ ،١٦١٤ ، ١٦٨٠ ، ١٧٤٨ ، ١٨٩٧ ١٩٠٧ ، ١٩٢٣ ، ١٩٦٣ ، ٢٠٥٤ . إبن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي(ت. ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ،(بيروت ، ١٩٧٩) ، ج٨ ، ص٢١٨ ـ ٢٢٠ . البغدادي ، إسماعيل باشا(ت. ١٣٣٩) ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،(إسلامبول ، ١٩٤٥) ، ج١ ، ص١٩ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٣٢٨ ،

٤٥٠ ، ٥٤٩ ، ج٢ ، ص١٣٣ ، ١٧٤ ،٦٠٥ . هدية العارفين ، ج١ ، ص٧٩٥ . الكتاني ، عبد الحي بن عبد الكبير الحسني(ت.١٣٤٧هـ) ، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والصلات ، المطبعة الجديدة ،(فاس ، ب.ت.) ،ج٢ ، ص ٤١٣ - ٤١٥ . بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، الطبعة الألمانية ،(بيروت ،١٩٤٩) ،الأصل : ج٢ ص٣٠٤ ، الذيل : ج٢ ، ص٤١٥ . الحلبي ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ،المطبعة العلمية ، (حلب ، ١٩٢٥) ، ج٥ ، ص٤٨٠ - ٤٨٧ . الزركلي ، خير الدين،الأعلام دار العلم للملايين ،(بيروت ، ١٩٧٩) ، ج٥ ، ص٤١ . كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مطبعة الترقي ،(دمشق ، ١٩٥٧) ، ج٧ ، ص٢٧٤ . سيد ، فؤاد (إعداد)، فهرس المخطوطات المصورة ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية ،(القاهرة ، ١٩٦١) ،ج٢ ، ص٨٢ . الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،طبع رونيو ،(القاهرة ،ب.ت.) ص٤١٠ . عبد البديع ، لطفي(إعداد) ، فهرس المخطوطات المصورة ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية ،(القاهرة ، ١٩٦٧) ، ج٢ ،ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢)المغزي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

(٣)الطباخ ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٨٠ - ٤٨١ .

(٤)المغزي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

(٥)الطباخ ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٦)إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢١٩ - ٢٢٠ .

(٧)الطباخ ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٨٦.

(٨)التاذقي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣٥ . الطباخ ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٨٦ .

(٩)إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢١٩ .

(١٠)في كشف الظنون ، ج١ ،ص٢٥٢ ، " بلغة المقتنع في آداب المتع " .

(١١)في كشف الظنون، ج١ ، ص٥١٧ وهدية العارفين ، ج١ ، ص٧٩٥ :" الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر " .

(١٢)في كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٥٦٦ و هدية العارفين ، ج١ ، ص٧٩٥ " اللمعة النورانية في تخميس الأبيات السهيلية " .

(١٣)في بعض المصادر " المواهب المكية " .

(١٤)المغزي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢٦ . إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٢٠ .الطباخ ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٨٦ - ٤٨٧ ، وغيرها من مصادر ترجمته .